التأثير الرومانسي في الشعر المهجري –دراسة وصفية تحليلية لقصيدة النهر المتجمد لميخائيل نعيمة– أنموذجا.

The Romantic Effect on Migrant Poetry - A Descriptive Analytical Study of the Poem of the Frozen River by Mikhail Noaima - as a model

الزهرة سهايلية *
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)
aicha4zohra@gmail.com

تاريخ الوصول: 2021/05/17 تاريخ القبول: 2021/08/20 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص:

مثّلت المدرسة الرومانسية ميزة تجديدية للقصيدة العربية في العصر الحديث، بحيث انتقل الشعر العربي الحديث من التقليد والإحياء إلى التجديد على مستوى الشكل والمضمون، فالمدرسة الرومانسية ثورة على الفن الكلاسيكي ودعوة إلى التّحرر الشعري، إنّها تغيير في مجال الأدب والفن، وقد جاءت كردّ فعل على المدرسة الكلاسيكية، هذه الأخيرة التي قيّدت الشاعر وفرضت عليه تقاليد وأصول في تناوله للموضوعات، وقد تأثّر بتيار الرومانسية العديد من مدارس الأدب العربي الحديث ولا سيما مدرسة الأدب المهجري التي من أبرز شعرائها ميخائيل نعيمة الذي جاء شعره غنيا بصور الرومانسية ولا سيما قصيدة (النهر المتجمد). فما هي أهم عناصر الرومانسية التي تجلت في قصيدة النهر المتجمد؟ وكيف أثّرت هذه الأخيرة دلاليا؟

الكلمات المفتاحية: الرومانسية– القصيدة العربية–الشعر المهجري– الطبيعة–الوحدة العضوية–النزعة التأملية، الرمز، الخيال.

Abstract:

The romantic school is considered a renewal feature of the Arabic poem in the modern era, So that modern Arabic poetry moved from tradition and revival to renewal in terms of form and content, The romantic school is a revolution against classical art and a call for poetic emancipation, It is a change in the field of literature and art, And it came as a reaction to the classical school, The latter restricted the poet and imposed on him traditions and principles in his handling of the topics, Many schools of modern Arabic literature have been influenced by the romantic trend, especially the immigrant school of literature, whose most prominent poet is Mikhail Naima whose poetry is rich in romantic images, especially the poem (The Frozen River). So what are the most important elements of romance that are manifested in the poem The Freezing River? How did this last effect my name?

key words: Romance - Arabic poem - poetry Almajri - nature - unity organic - the tendency to reflective, Symbol, imagination.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

اعتُبر الأدب المهجري ظاهرة فذّة باعتباره نشأ وترعرع خارج الوطن العربي على أيدي زمرة من الأدباء العرب من سوريا ولبنان، هاجروا إلى أمريكا الشّماليّة والجنوبيّة في أواخر القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ومن أشهر مؤسسي هذه المدرسة الناقد والأديب والشاعر ميخائيل نعيمة أحد قادة النهضة الفكرية والثقافية وقائد الحركة التجديدية.

ما ميّز التجربة الكتابية لميخائيل نعيمة أنّها تجربة ثرية بحيث ألّف في ميادين عدة، فقد كتب في الفلسفة والمسرح والنقد والأدب والشعر، هذا الأخير الذي وسمه بلمسة رومانسية أضفت نكهة مميّزة في خطاباته الشعرية، ومن أشهر قصائده في مجال الشعر قصيدة النهر المتجمد التي نسعى إلى دراستها دراسة تجديدية محاولين استخراج أهم صور الرومانسية التي تعج بها القصيدة. وقد طرحنا الإشكالية التالية:

–ما مفهوم الرومانسية وأين ظهرت؟

–فيما تجلت ظروف نشأتها؟ وما علاقتها بتحولات القرن 19م؟

–ما مفهوم الشعر المهجري؟

–ما عوامل نشأته؟ وماهي أهم ميزاته؟

–كيف تجلّت عناصر الرومانسية في قصيدة (النهر المتجمد)؟

اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي ففي المنهج الوصفي حاولنا الوقوف على بعض العناصر الخاصة بالمدرسة الرومانسية التي تصبّ في الجانب النظري، ولأنّ الوصف يحتاج إلى تحليل فقد طبّقنا خصائص المدرسة الرومانسية على قصيدة "النهر المتجمد" بغية إبراز الدلالة الموجودة فيها. ومن بين الدراسات التي اعتمدنا عليها كتاب الرومانتيكيّة لمحمد غنيمي هلال، وكتاب الأدب العربي الحديث (الشعر) لسامي يوسف أبو زيد.

أولا: المدرسة الرومانسية:

1– مفهوم الرومانسية:

يستصعب التوصُّل إلى تعريف محدّد لمصطلح الرومانسية وهذا ما أشار إليه محمد غنيمي هلال بقوله: "ومن العسير أن نعطي تعريفاً قصيراً لهذا المذهب الأدبيّ المعقّد الجوانب، وكثيراً ما يؤدّي تعريف الأشياء على هذا النحو إلى تنكيرها والتضليل في مفهومها "[1] وجاء في تعريفها "رومانسي مشتقة من كلمة رومانس التي تعني نوعا من قصص المغامرات والبطولات في سبيل الأمجاد والحب، شاعت في معظم البلدان الأوروبية في العصور الوسطى ثم استعملها بالمعنى الاصطلاحي جونسون، ترى الرومانسية خلافا للكلاسيكية أنّ العاطفة مصدر الإلهام، وهي تسعى إلى التخلّص من الموضوعات الكلاسيكية، إذ دعت إلى الحرية والإغراق في الغنائية، وقدّمت الخيال على العقل وفضّلته على التحليل النّقدي، وعبّرت عن تأزّم الفكر، والإرادة والقلق والكآبة والتشاؤم، والتّمزق، ومالت إلى لغة

يسيرة بعيدة عن جزالة الألفاظ وقوة التراكيب التي عرفت بها الكلاسيكية"[2] إذن فظهور الرومانسية ارتبط بقصص المغامرات والبطولات وكان ذلك في أوروبا في العصور الوسطى.

2- الشعر العربي قبل وأثناء الإحياء:

تميّز الشعر العربي في أغراضه قبل عصر النهضة بالمحسنات البديعية المصطنعة واللغة الضعيفة المبتذلة، والنسيج المتهلهل، ورغم محاولة بعض الشعراء استحداث أغراض جديدة كالغرض الاجتماعي والوطني، إلاّ أنّ شعرهم ظلّ ضعيف الفن ثقيل الطبع، فالأدب العربي قبل عصر النهضة عاش في ظلال دول لم تعط له أهمية، وسكن إلى الراحة وراح في نوم عميق، بحيث لم يتناول الأدباء قضايا أمتهم ولم يعبروا عن الألآم والصعوبات التي كانت تعيشها الشعوب.

إذ "كان الشعر أيام الأتراك العثمانيين على ما عرف من ركاكة الأسلوب وضعف المعنى والولوع بالمحسنات البديعية، والنظم في تافه الأغراض وسقيم المعاني، إذ لم يجد فيهم أذانا صاغية أو قلوبا واعية ولم يجد فيهم نفوسا تطمح إلى نهضة أدبية مزدهرة، فأخذت البديعيات واللّغاز والتاريخ الشعري تملك صفحة الشعر بالوهن إلى الخيال السقيم والصور الشعرية الباهتة"[3]، ثم جاءت مدرسة الإحياء التي أخذ ينهض في ظلّها الشعر العربي التي يعدّ محمود سامي البارودي رائدها الأول حيث " أُطلق النقاد على البارودي وتلاميذه تعبير مدرسة الإحياء أو حركة الإحياء التي تعني إعادة روح الحياة إلى الشعر وبعثه من جديد، حيث أحيا البارودي وتلاميذه القصيدة العربية في العصر الحديث وأعادوها إلى ما كانت عليه في عصورها الزاهية خصوصا العصر العباسي، فهم بذلك بعثوا فيها حياة جديدة، وقد ارتبط الإحياء عندهم بطابع المحافظة واستلهام الماضي وإحيائه، واتخاذ الشعر العربي القديم نقطة انطلاق نحو التجديد والإبداع"[4].

وقد ارتبط مصطلح الإحياء بعصر النهضة، إذ كان" لحملة نابليون بونابرت (عصر النهضة) على مصر ما بين سنة (1798م-1881م)حتى الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) رغم مساوئها بداية نهضة شاملة في مصر، تلاها عهد محمد علي الذي حكم مصر بين(1805م-1849م) وهو عهد تقدّمي في مختلف مناحي الحياة، فعلى الصعيد الثقافي تأسست مطبعة بولاق عام 1822، وصدرت الجريدة الرسمية "الوقائع المصرية" وأرسلت إحدى عشر بعثة علمية إلى أوروبا بين عامي(1826-1847)، وأُنشئ عدد من المعاهد والمدارس من أشهرها "مدرسة الألسن" عام 1836م بتوصية من رفاعة رافع الطهطاوي (1801م-1873م) وتم ترجمة 243 كتابا عن اللغات الأوروبية"[5].

3- الشعر العربي من الإحياء إلى التجديد-الرومانسية "سؤال الذات" وخطاب التحديث-:

لقد "قامت مبادرة الإحيائيين على إحياء أصول القصيدة العربية وتقاليدها، وبعث المضامين الشعرية الموروثة، واستطاع الشعراء بفضل هذا التّوجّه أن يعيدوا الحياة من جديد إلى القصيدة العربية، وأن يمنحوها فرصة الاندماج مع قضايا العصر وأحداثه، لكن سنة التغيير اقتضت أن يبحث المجتمع العربي مع بداية القرن العشرين عن عوامل

التحديث وبواعث التطور، وكانت الحضارة الغربية نقطة مضيئة تجتذب الداعين إلى مشروع تحديث المجتمع وتغيير بناه، لذلك تبنى العديد من رواد إحياء النموذج مبادئ الليبرالية والديمقراطية، ودافعوا عن الحرية وقيمة الإنسان، ولم يكن الواقع العربي متناغما مع هذه المبادئ، فمظاهر التخلّف في المجتمع تجسد نقيضا لمشروع التحديث والتقدم، وممارسة الاستعمار تجسم تناقضا مع القيم التي روجت لها حضارته، وأمام هذا الوضع المتناقض، كان الأديب التّواق إلى التجديد، الحالم بمجتمع إنساني أكثر استعدادا للتواصل مع الخطاب الأدبي الذي ينتقل بالشعر من احتذاء نماذج شعرية جاهزة سلفا إلى البحث عن علاقته بذات الشاعر وبعالمه الواقعي والمتخيل.

وانطلاقا من هذا الموقف طرح شعراء التجديد سؤال الذات من منظور يعطي للشعر مفهوما جديدا ووظيفة مغايرة لما كرّسه شعراء إحياء النموذج.

إنّ مصطلح سؤال الذات يحيل على معنيين:

–الأول: يرتبط بما يطرحه الشاعر على ذاته من تساؤلات في علاقتها بالعالم الخارجي، أي النظرة إلى العالم من زاوية الذات (الطبيعة مثلا).

–الثاني: يرتبط بالسؤال الذي يطرحه الشاعر على ذاته منفصلة عن كل ما يحيط بها من الخارج (المناجاة، الموت، الحياة، الحلم، الخيال، الحقيقة)

وكلا المعنيين يتمحور كما هو ملاحظ حول الذات الشاعرة وما يحيط بها من العالمين الخارجي/الداخلي، الواقعي/المتخيل.

من ثمّ، يمكن القول: إنّ لحظة سؤال الذات في الشعر العربي الحديث، هي صرخة ضد التيار الإحيائي الكلاسيكي، فكانت الرومانسية التي تعلي من شأن الذات، بمثابة ثورة شعرية على النموذج الإحيائي الذي يعلي من شأن الموضوع. إنّه كما وُصف عند الدارسين أو على حد تعبير محمد النويهي الصراع بين القديم والحديث. من هنا برز خطاب جديد يقرر:

–"رفض التقليد: باعتباره نفيا للشاعرية، وانتفاء لصدق الشاعر، وقد أعلن أكثر من أديب هذا الرفض (مثال ذلك: عباس محمود العقاد في قراءته لشعر أحمد شوقي، وإبراهيم المازني في نقده لشعر مصطفى لطفي المنفلوطي)

– الدعوة إلى التجديد: دعا الرومانسيون إلى إرساء دعائم توجه أدبي في إطار سؤال الذات، يعتمد الأسس الآتية:

*–إنّ التعبير الصادق عن الذات هو المقياس الوحيد للإبداع"[6]

*–إنّ وظيفة الشعر هي التعبير والتأثير في المتلقي. ومجمل القول: إنّ شعر سؤال الذات الرومانسي، وجد له صدى واسعا لدى جيل كامل من الأدباء في النصف الأول من القرن الماضي، وقد كان هذا الجيل يتطلع نحو ترسيخ مكانة الفرد في مجتمع يرزح تحت نير الاستعمار الإمبريالي"[7].وقد تبنّى هذه الأسس الشعرية العديد من الأدباء والشعراء وكونوا جماعات أدبية، أهمها: مدرسة الديوان ومدرسة أبولو ومدرسة المهجر.

4- نشأة الرومانسية:

نشأت" الرومانسية في الغرب في النصف الثاني من القرن 19م، في ألمانيا، ثم انتقلت إلى فرنسا وانجلترا، ولم تكن تقتصر على الأدب بل كانت طابع العصر كلّه، حتى سمّيت بمرض العصر، أمّا الرومانسية عند العرب فقد ظهرت مطلع القرن العشرين في أثار المنفلوطي، وفي رواية زينب لمحمد حسين هيكل .وقد غذّت تلك المدرسة دماءً جديدة تمثلت في خليل مطران رائد الشعر الرومانسي، وفي مسرحيات شوقي الشعرية، وتوالت الرومانسية في الأدب العربي فظهرت في أدب المهجر وجبران خاصة، وفي مدرسة الديوان (العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري) الذين تأثروا بالآداب الغربية، إذ اطّلعوا على الشعر الإنجليزي الرومانسي عند ورد زورث وشيلي وكيتس، وقرأوا كتاب "الكنوز الذهبية"، وتأثّروا بالناقد هازلت. وتألّقت في مصر جماعة من الشعراء الرومانسيين، حلّقت حول الشاعر أحمد زكي أبو شادي، الأب الروحي لجماعة أبولو، ومن هذه النخبة علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، ومحمد عبد المعطي الهمشري وغيرهم"[8].

5-عوامل ظهور الرومانسية:

أحدث مجيئ القرن 18م في أوروبا ثورة هائلة تركت صدى بعيدا على الطبقات، فظهر الانحلال الخلقي وظهرت آراء تدعو إلى الانطلاق والتحرر السياسي والفكري. وكانت الطبقة البرجوازية من أشدّ الطبقات تأثرا بهذه الثورة[9]، ففي القرن الثامن عشر ميلادي شهد المجتمع الأوروبي تغيّرات جذرية هزّت أبنيته الاجتماعية والسياسية والثقافية مثل الثورة البرجوازية على الإقطاع والنهضة الصناعية والاقتصادية والانتقال من الريف إلى المدن وما تولّد من علاقات جديدة وظهور فلسفات جديدة تهتم بالفرد، كذلك كان لشيوع أفكار الديمقراطية والإعلاء من شأن الفرد وبروز شعارت مثل العدل والحرية والمساواة أثر في صعود الطبقة الوسطى وسيطرة القيم الذاتية، أيضا كان للتعليم والطباعة والصحافة أثر في وعي الأفراد بحقوقهم والاهتمام بالبعد الشعوري والعاطفي فظهرت أفكار وموضوعات جديدة وثار الأدباء على قواعد الفن الكلاسيكي[10] و" عاد الشعراء والأدباء إلى نفوسهم ووجدانهم، يلوذون بتجاربهم الباطنة، ويهتمون بمشاهد الجمال والطبيعة، ويميلون إلى الأصالة والابتكار والتجديد متحرّرين في أفكارهم وأساليبهم، منبعثين في آثارهم عن انفعال قوي وعواطف متّقدة ومشاعر حيّة، وسمّي هؤلاء الرومانتكيين أو الابتداعيين"[11].

6- خصائص الرومانسية: تميّزت الرومانسية بعدة خصائص منها:

-"الاهتمام بالعاطفة والتّحرر الوجداني.

-رفض الواقع.

-التعلّق بالخيال والمبالغة فيه.

-التّحرر من القوالب التقليدية في الأدب والتّمرّد على القديم.

-التّأكيد على الذات والتّأمل الذاتي.

-حبّ الطبيعة ومزج النفس البشرية.

-الوحدة العضوية والموضوعية.

-التّطلّع إلى عالم المثل العليا في عالم الروح والخيال والأحلام"[12].

7-مدارس الرومانسية:

***مدرسة الديوان:**

ظهرت "مدرسة الديوان في العقد الثاني من القرن العشرين، وهي تعدّ من المدارس الشعرية الجديدة بعد مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران، تزعمت حركة التجديد في الشعر، وألحّت في الدعوة إليه.

قام أعلامها الثلاثة شكري والعقاد والمازني بدور كبير في خدمة النهضة الشعرية وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث، وتسمّى مدرسة شعراء الديوان نسبة إلى هذا الكتاب النقدي المشهور(الديوان)، الذي ألفه اثنان من المدرسة، وهما العقاد والمازني وأعلنا في مقدمته أنه سيكون في عشرة أجزاء، ولكن لم يصدر منه غير جزئين صغيرين عام 1921م، ومن هنا تبدو هذه التسمية غير دقيقة لأنّ عبد الرحمن شكري كان فيه منقودا لا ناقدا، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر في والعالم العربي، وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي، وغيّر من نظرية عمود الشعر القديمة، وعلى الرغم من أنّ عبد الرحمن شكري فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان. إلاّ أنّه يعدّ الرائد الأول لهذه المدرسة، وإمامها الذي اقتدت به، وهؤلاء الثلاثة ثقافتهم انجليزية ووجهتهم هي الأدب الانجليزي"[13].

***مدرسة أبولو:**

أعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي (1892م-1955م) في سبتمبر من عام 1932م في القاهرة ميلاد هيئة أدبية جديدة، موسومة بجماعة أبولو، مقرّها القاهرة، انضم تحت لوائها طائفة من الأدباء والشعراء والنقاد، إضافة إلى جماعة من الأدباء الشباب، ومن أبرز أعلامها: أحمد محرم(1877م-1945م)وإبراهيم ناجي(1898م-1953م) وعلي محمود طه (1949م) وكامل الكيلاني(1959م) وأحمد ضيف وعلي العناني وأحمد الشايب ومحمود أبو الوفا وحسن كامل الصيرفي وغيرهم.

عُيّن أحمد زكي أبو شادي أمين سرّ هذه الهيئة بشكل دائم، وعُيّن أحمد شوقي (1868م-1932م) رئيسا لها. عقدت هذه المدرسة أول جلسة لها يوم العاشر من أكتوبر 1932م برئاسة شوقي في منزله دار كرمة ابن هاني بالجيزة، حتى يضعون الأسس العامة لنظام هذه المدرسة الإداري والأدبي، ولكن شوقي وافته المنية بعد أربعة أيام من انعقاد هذه الجلسة، أي توفي يوم الرابع عشر من شهر أكتوبر من فجر يوم الجمعة من نفس السنة رحمه الله.

اجتمع أعضاء هذه المدرسة يوم السبت الثاني والعشرين من شهر أكتوبر1932م، في مقر رابط الأدب الجديد بالقاهرة واختاروا الشاعر خليل مطران(1872م-1949م)رئيسا لها[14].

"أصدرت جماعة أبولو في العام نفسه مجلة أبولو، فصدر العدد الأول منها في أيلول (سبتمبر)عام 1932م والعدد الأخير في كانون الأول (ديسمبر) سنة1934م"[15].

يقول شوقي عن مدرسة أبولو:

"أبولو، مَرْحباً بِكِ يا أبولو فإنّكِ من عُكاظِ الشِّعرِ ظِلُّ
عُكاظُ، وأنتِ للبلغاءِ سُوقٌ على جُنَبَاتِها رحلوا وحَلُّوا
عَسى تأتينَنَا بمعلقـــاتٍ نروحُ على القديمِ بها نُدِلُّ
لعلّ مواهباً خِفيتْ وضاعَتْ تُذاعُ على يَدَيْكِ وتُسْتغَلّ"[16]

ثانيا: مدرسة الشعر المهجري:

1-تعريف مدرسة المهجر:

مدرسة المهجر "هي المدرسة التي قامت على أيدي الأدباء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وكوّنوا فيها جمعيات وروابط أدبية، وأخرجوا صحفا ومجلات أدبية"[17].

2- عوامل الهجرة:

أدباء المهجر" جماعات من بلدان عربية ولا سيما سوريا و لبنان، هاجرت إلى شمالي أمريكا وجنوبيها على هيئة أمواج متتالية منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكانت الهجرة لأسباب عدة، بعضها يعود إلى ضغط الأنظمة السياسية لتلك البلاد على رعاياها، وبعضها اقتصادي يعود إلى الفقر والرغبة في انتجاع الرزق في العالم الجديد، يقول إيليا أبو ماضي:

لبنان لا تعذل بنيك إذا هـــم ** ركبوا إلى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة لكنّهـــم ** خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
ولدتهم نسـورا حلّقـــــوا ** لا يقنعون من العلا بالدون
والنّسر لا يرضى السّجون وإن تكن** ذهبا، فكيف محابس من طين

وقد تكون الهجرة لأسباب فكرية، كالإحساس بالغربة النفسية في الوطن فقد علّل أحمد زكي أبو شادي هجرته من مصر إلى أمريكا بقوله:

وغربة الفكر من دار يمجّدها ** أقسى على الحرّ من فقدان ناظره

وهناك عوامل أخرى أدّت إلى تلك الهجرة، منها الدعايات التي كانت تنشرها شركات الملاحة والسياح الأجانب في البلدان العربية، ولربّما كانت أخبار المغتربين ورسائلهم إلى ذويهم تحسّن هذه الحياة في العالم الجديد بما فيه من ترف وعيش كريم.

عُرف الأدب المهجري بفرعيه: المهجر الشمالي أي (الولايات المتحدة الأمريكية) والمهجر الجنوبي أي (أمريكا اللاتينية، والبرازيل على الوجه الأخص)"[18].

أ–الرابطة القلمية :

"تأسّست الرابطة القلمية عام 1920م في نيويورك بأمريكا الشمالية، وأعلنت الثورة على الشعر التقليدي ودعت إلى التجديد شكلا ومضمونا، من شعرائها جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي، وقد كانوا ينشرون نتاجهم في مجلة "الفنون" لنسيب عريضة، ثم في مجلة "السائح" ثم في كتبهم.

عاشت الرابطة القلمية عشر سنوات ثم انفرط عقدها بموت نسيب عريضة وجبران ورشيد أيوب، وعودة ميخائيل نعيمة إلى لبنان" [19].

ب–العصبة الأندلسية:

"تأسّست عام 1932م، في أمريكا الجنوبية، وهي أميل إلى المحافظة على الشعر القديم، ودعم الصلات بين الشعر الجديد والقديم، لأنّهم عاشوا بين مهاجري اسبانيا في أمريكا الجنوبية، وفيهم أدباء وشعراء يذكرون مجد العرب في الأندلس، أسّسها ميشيل معلوف وأصدر مجلة باسمها، من شعرائها فوزي المعلوف، وإلياس فرحات، وسلمى صائغ والقروي، ونظير زيتون، وفارس الدبغي، ونصر سمعان، وداود شكور"[20].

3– العوامل المؤثرة في أدب المهجر:

–"تفاعل شخصيتهم الشرقية مع الشخصية الغربية، وامتزاج ثقافتهم العربية الأجنبية، ممّا أدّى إلى أدب جديد فيه ملامح الشرق والغرب.

–تطلّعهم إلى وطنهم الأول وحنينهم إليه وتمسّكهم بعروبتهم ومحافظتهم عليها، رغم ما وجدوا في الغرب من حرية ورزق أوسع.

–اتّصالهم بالثقافة الأجنبية التي عاشوا في أجوائها وباتجاهات الأدب الأمريكي ونزعاته وبخاصة النزعة التأملية الروحية.

–تأثّرهم بجو الحرية التي انتقلوا إليها ولم تتح لهم في الشرق، فانطلقوا في ظلالها إلى أفاق شعرية جديدة.

–تطلّعهم إلى المثل العليا وإلى القيم التي عاشوا في ظلالها في الشرق، ولم يجدوها في الغرب، ممّا أثّر فيهم وجعلهم يعانون القلق والحيرة والانطواء، ويفرّون إلى الطبيعة ويحاولون الاندماج فيها، ويحلمون بمدن فاضلة لن تتحقّق في أرض الواقع، وإنّما ستظل فكرة تعانق الأرواح والمهج"[21].

4– خصائص أدب المهجر:

"أ– من حيث المضمون:

–النزعة الإنسانية: وهي النظرة إلى المجتمع كلّه نظرة حب ورحمة، ورغبة في أن يعمّ الخير الجميع، وأن تنتشر المبادئ السامية .

–نلمح في أشعارهم الدعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم والمثل العليا والرغبة في تهذيب نوازع النفس الشريرة.

-الحنين إلى الوطن: شعر المهجريون بالغربة عن وطنهم الأم، فكان أن ظهر الحنين في أشعارهم، وتألّموا كثيرا لما يصيبه من كوارث.

-النزعة التأملية: اتّجه أدباء المهجر إلى دواخل أنفسهم يتأمّلون فيها فرارا من صخب الحياة التي تحيط بهم من كل جانب، كما تأمّلوا في جمال الطبيعة وشخّصوها كالكائن الحي.

- الحزن: تشيع ظاهرة الحزن في الشعر المهجري، ولعل سببها طول الأيام وإحساس المهاجر إحساسا حادا بالزمن.

-الإخوانيات: شاعت ظاهرة الإخوانيات في شعر أدباء المهجر وذلك لأنهم غرباء هناك حتى تتوطّد العلاقة بينهم، نجد ظاهرة الإخوانيات في التهنئة بمولود أو نجاح في عمل وغيرها"[22].

من حيث الشكل والأداء:

-الوحدة العضوية: يُعنى بها وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي، وترتيب الأفكار والصور ترتيبا متماسكا.

-التعبير عن تجربة شعورية ذاتية: يعبّر الشاعر المهجري عن تجاربه التي يكون قد عاشها وأثرت فيه. ويظهر عمق التعبير عن التجارب الشعورية الذاتية عندما يمزج الشاعر مشاعره مع الطبيعة ويتحدث عنها.

-الرّمز: بحيث يتّخذ الشاعر من الأمور الحسية رموزا لأشياء خفية، يرمز إليها دون التصريح بذلك، ومن أمثلة ذلك في الأدب المهجري(قصيدة التينة الحمقاء) لإيليا أبي ماضي التي ترمز إلى الإنسان الذي يبخل بفعل الخير في المجتمع فيكون أحمقا لا يقدم سخاء في الحياة.

-التحرر من الوزن والقافية: تحرّر المهجريون من قيود الوزن والقافية، فنظّموا على شعر التفعيلة واتّبعوا نظام المقطوعات .

-استخدام الشكل القصصي: يظهر ذلك جليا في قصيدة (التينة الحمقاء والحجر الصغير) لإيليا أبي ماضي مما يساعد على تحليل الجانب الشعوري والعاطفة الانسانية[23].

"-وظهر عندهم شعر الموشحات والأزجال قبل ذهابهم إلى أمريكا، يقول جورج قداح عن التجديد الذي قام به المهجريون كان في الموضوعات، الفكر والأساليب، وظهور الموشحات وقد خلقوا الحوار في أشعارهم وبعثوا الحياة فيها من جديد.

-ظهور الملاحم كملحمة (على بساط الريح) لفوزي معلوف.

-الشعر عندهم همس وموسيقى حية نابضة ومعاني دافقة جميلة تحرّك مشاعر الإنسان. أي اتّصف شعرهم بالبساطة والسهولة اللغوية"[24].

دراسة وصفية تحليلية لقصيدة النهر المتجمد لميخائيل نعيمة:

يقول ميخائيل نعيمة:(النهر المتجمد)

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير ؟

أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير ؟

بالأمسِ كنتَ مرنّماً بين الحدائقِ والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدهور
بالأمس كنتَ تسير لا تخشى الموانعَ في الطريق
واليومَ قد هبطتْ عليك سكينةُ اللّحدِ العميق
بالأمس كنتَ إذا أتيتُكَ باكياً سلَّيْتَني
واليومَ صرتَ إذا أتيتُكَ ضاحكاً أبكيتني
بالأمسِ كنتَ إذا سمعتَ تنهُّدِي وتوجُّعِي
! تبكي، وها أبكي أنا وحدي، ولا تبكي معي
ما هذه الأكفانُ ؟ أم هذي قيودٌ من جليد
قد كبَّلَتْكَ وذَلَّلَتْكَ بها يدُ البرْدِ الشديد ؟
ها حولك الصفصافُ لا ورقٌ عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلّما مرَّتْ بهِ ريحُ الشمال
والحَوْرُ يندبُ فوق رأسِكَ ناثراً أغصانَهُ
لا يسرح الحسُّونُ فيهِ مردِّداً ألحانَهُ
تأتيه أسرابٌ من الغربانِ تنعقُ في الفَضَا
فكأنّها ترثي شباباً من حياتِكَ قد مَضَى
وكأنّها بنعيبها عندَ الصباحِ وفي المساء
جوقٌ يُشَيِّعُ جسمَكَ الصافي إلى دارِ البقاء
لكن سينصرف الشتا، وتعود أيامُ الربيع
فتفكّ جسمكَ من عِقَالٍ مَكَّنَتْهُ يدُ الصقيع
وتكرّ موجتُكَ النقيةُ حُرَّةً نحوَ البِحَار
حُبلى بأسرارِ الدّجى، ثملى بأنوارِ النهار
وتعود تبسمُ إذ يلاطف وجهَكَ الصافي النسيم
وتعود تسبحُ في مياهِكَ أنجمُ اللّيلِ البهيم
والبدرُ يبسطُ من سماه عليكَ ستراً من لُجَيْن
والشمسُ تسترُ بالأزاهرِ منكبَيْكَ العاريَيْن
والحَوْرُ ينسى ما اعتراهُ من المصائبِ والمِحَن
ويعود يشمخ أنفُهُ ويميس مُخْضَرَّ الفَنَن

وتعود للصفصافِ بعد الشيبِ أيّامُ الشباب
فيغرد الحسُّونُ فوق غصونهِ بدلَ الغراب
قد كان لي يا نهرُ قلبٌ ضاحكٌ مثل المروج
حُرٌّ كقلبِكَ فيه أهواءٌ وآمالٌ تموج
قد كان يُضحي غير ما يُمسي ولا يشكو الملَل
واليوم قد جمدتْ كوجهِكَ فيه أمواجُ الأمل
فتساوتِ الأيامُ فيه : صباحُها ومساؤها
وتوازنَتْ فيه الحياةُ : نعيمُها وشقاؤها
سيّان فيه غدا الربيعُ مع الخريفِ أو الشتاء
سيّان نوحُ البائسين، وضحكُ أبناءِ الصفاء
نَبَذَتْهُ ضوضاء الحياةِ فمالَ عنها وانفرد
فغدا جماداً لا يَحِنُّ ولا يميلُ إلى أحد
وغدا غريباً بين قومٍ كانَ قبلاً منهمُ
وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغزٌ مبهمُ
يا نهرُ! ذا قلبي أراه كما أراكَ مكبَّلا
والفرقُ أنَّك سوفَ تنشطُ من عقالِكَ، وهو لا[25]

مضمون القصيدة:

يتجلى بعد دراسة القصيدة والتّمعن فيها أنّ النهر المتجمّد عند ميخائيل نعيمة يتميز في فصل الربيع بالطرب والابتسامة، حيث يروي للدنيا أحاديث الدهور والقصص عبر العصور، وعند انقضاء زمن الربيع بجماله وحلول فصل الشتاء يصير النهر كئيبا وحزينا. وهناك تشابه بين قلب الشاعر والنّهر فقد كان مبتهجا للحياة لا يشكو مللا ولا سأما، غير أنّ الحياة تتغير ليحلّ التشاؤم بدل السرور والابتهاج، ويحلّ الملل بدل الأمل والتفاؤل، وفي خاتمة القصيدة يرى الشاعر أنّ قلبه والنهر مقيّدان بالأغلال والسلاسل، غير أنّ النهر ستُفك أغلاله وكوابله، أمّا الشاعر فيبقى مقيّدا بكوابل.

عناصر الرومانسية في قصيدة النهر المتجمد:

قبل الولوج في استخراج عناصر الرومانسية نتعرض للجانب الشكلي في القصيدة، لأنّ الشكل جانب تجديدي أيضا، وذلك بتقطيع الوحدة الموسيقية الأولى والثانية:

التقطيع العروضي:

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير ؟

يا نهر هل نضبيت مياهك فنقطعت عن لمسيري
0/0//0// /0//0/ //0// 0/// 0//0/0/
متفاعلن متفا علن متفاعلن متفاعلا تن
(مستفعلن)
أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فنثنيت عن لمسيري
0/0//0 // /0//0/ 0/0/ /0// /0//0/0/
متفاعلن متفـا عـلن متفا علن متفاعـلا تن
(مستفعلن) (مستفعلن)

بعد الدراسة العروضية للأبيات الأولى من القصيدة لاحظنا أنّ الشاعر استخدم بحر الكامل وتفعيلاته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن*** متفاعلن متفاعلن متفاعلن

والكامل يتميز بحلاوة وحسن اطّراد مثلما أقرّ حازم القرطاجني في كتابه(منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

طرأ على الوزن تغيُّرات تمثّلت في زحاف الإضمار الذي يعني إسكان المتحرّك الثاني من التفعيلة لتصبح متفاعلن متفاعلن وتوظف مستفعلن. وكذا علّة من علل الزيادة هي علّة الترفييل التي تعني زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع لتصبح متفاعلن متفاعلاتن. والكامل يجمع بين الفخامة والرّقّة كما رأى عبده بدوي في كتابه (دراسات في النص الشعري). وهو في القصيدة يتماشى مع نفسية الشاعر الحزينة بسبب ماحلّ بالنهر جاء معبّرا عن ألمه وقهره الداخلي.

-تنوُّع حرف الروي بين أصوات (الراء-القاف-النون-العين-الدال-اللام-الضاء-السين-الميم-الباء-الجيم-الهاء-الهمزة) كان من شأن هذا التنوع إثراء القصيدة إيقاعيا.

في حين تنوعت القافية بين المتواتر والمتدارك.

-اعتمد الشاعر نظام الوحدة الموسيقية ولم يعتمد النظام العمودي.

-الوحدة العضوية والموضوعية:

نلاحظ تسلسلا وترابطا بين أبيات القصيدة، كل بيت يؤدي إلى الأخر، إذ يخاطب الشاعر النهر متأسفا لما حلّ به، مذكّرا إيّاه بالماضي وكيف كان فاعلا للخير وطروبا، كما يذكّره بقدوم فصل الربيع الذي يمثل الحياة والبهجة بالنسبة له، وكان يشارك الشاعر أفراحه وأحزانه، ثم ينتقل إلى الحاضر متمنيا للنهر أن ينشط في المستقبل وينطلق من كوابله التي قيدته ويتحرر منها.

-النزعة الانسانية:

النزعة الإنسانية عنصر أساسي في الشعر المهجري لأنّهم حاولوا القضاء على العالم المادي وبناء مجتمع هدفه الدعوة إلى الخير والفضيلة، ونجدها في القصيدة تتمثل في تألم الشاعر بسبب ما حدث للنهر كقوله:

ما هذه الأكفانُ ؟ أم هذي قيودٌ من جليد

قد كبَّلَتْكَ وذَلَّلَتْكَ بها يدُ البرْدِ الشديد ؟

ها حولك الصفصافُ لا ورقٌ عليه ولا جمال

تحمل هذه الأسطر شعرية دلالة الألم والحزن والقهر.

-توظيف قاموس الطبيعة:

يعد قاموس الطبيعة من أهم سمات الرومانسة، وهذا ما ألفيناه في قصيدة ميخائيل نعيمة، بحيث انتقى ألفاظه من معجم الطبيعة ومن أمثلة ذلك: النهر- المياه — خرير- حدائق زهور- الصفصاف- الربيع وغيرها.

-تشخيص الطبيعة:

جعل نعيمة النهر بمثابة الصديق الحميم فهو يحاكيه ويستنطقه، كقوله:

بالأمس كنتَ إذا أتيتُكَ باكياً سلَّيْتَني

واليومَ صرتَ إذا أتيتُكَ ضاحكاً أبكيتني

بالأمسِ كنتَ إذا سمعتَ تنهُّدِي وتوجُّعِي

تبكي ، وها أبكي أنا وحدي، ولا تبكي معي[26]

ظاهرة الحزن:

ظاهرة الحزن جليّة في القصيدة، نلمسها في حزن الشاعر وعذابه، ووصفه لما أصاب النهر، يمثل ذلك قوله:

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير ؟

أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير ؟

بالأمسِ كنتَ مرنماً بين الحدائقِ والزهور

تتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدهور[27]

-نزعة التشاؤم:

يبدو الشاعر حزينا متألّما ومتشائما بسبب ما أصاب النهر، فهو آسف على الماضي(نضبت-انقطعت)ويشكو من شقاء الحاضر(تبكي-أبكي)(يا نهر ذا قلبي أراه كما أراك مكبلا).

الرمز:

وظّف الشاعر ظاهرة الرمز وهي إحدى خصائص الشعر المهجري، ونمثل لذلك بقول نعيمة:

ها حولك الصفصافُ لا ورقٌ عليه ولا جمال (وهو يرمز للحزن).

سيّان فيه غدا الربيعُ مع الخريفِ أو الشتاء (هنا رمز للملل والسأم من الحياة).

اللغة:

تبدو لغة القصيدة بسيطة سهلة خالية من التعقيد والغموض مثل نهر، قلبي، مكبلا وغيرها.

العاطفة:

تظهر عاطفة الشاعر صادقة وهو يعبر عن حزنه اتجاه ما حدث للنهر، ويتفاءل له بالانبساط في المستقبل.

الخيال:

نستشف أنّ الشاعر استخدم ظاهرة الخيال، وهذه سمة من سمات الشعر المهجري. يقول نعيمة:

وتعود تبسمُ إذ يلاطف وجهَكَ الصافي النسيم

وتعود تسبحُ في مياهِكَ أنجمُ الليلِ البهيم

والبدرُ يبسطُ من سماه عليكَ ستراً من لُجَيْن

والشمسُ تسترُ بالأزاهرِ منكبَيْكَ العارِيَيْن

وفي خاتمة بحثنا توصلنا إلى ما يلي:

الرومانسية العربية انتقال من النموذج الإحيائي إلى النموذج التجديدي، وهي ثورة على الأدب الكلاسيكي شكلا ومضمونا هدفها المناداة بتحرير الشاعر، وقد ارتبطت بقصص المغامرات والبطولات، أمّا بالنسبة لظهورها فإن القرن19م يمثل تمهيدا لظهور الرومانسية الأوروبية أمّا القرن 20م فرومانسية عربية، وقد ارتبطت الرومانسية الأوروبية بالثورة الفرنسية أمّا الرومانسية العربية فانطلقت من الإحياء، ومن بين أشهر المدارس الأدبية التي تأثّرت بالرومانسية مدرسة الشعر المهجري وهي مدرسة فريدة من نوعها باعتبارها نشأت خارج الوطن العربي في أمريكا الشمالية والجنوبية، ويعدّ الشاعر والناقد ميخائيل نعيمة من أحد رواد هذه المدرسة وقد انعكس ذلك في قصيدته(النهر المتجمد) التي جاءت نموذجا رومانسيا بامتياز مليئا بصور الرومانسية من عاطفة صادقة ورمز وخيال ووحدة عضوية وموضوعية ولغة بسيطة ونزعة تشاؤمية وغيرها.

هوامش البحث:

1 –محمد غنيمي هلال، الرومانتيكيّة، دار العودة، بيروت، ط 6، 1981 ، ص5.

2–سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث(الشعر)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2014 ، ص131.

3–إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر الحديث، دار المسيرة الجامعة الأردنية، ط1، 2003، ص57.

4–سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث(الشعر)، ص33.

5–سامي يوسف أبو زيد، م ن، ص13.

6–الوارث الحسن، الأدب العربي الحديث من النموذج الإحيائي إلى سؤال الذات، على الموقع الالكتروني:
/2012/02/518/37http://www.adabislami.org/magazine

7–نفس الموقع الإلكتروني.

8-حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2000، ص72، 73، وكذا ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص131، 132.

9-ينظر:عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، 2005، ص171.

10-ينظر: شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1993،1، ص49، 50.

11-محمد عبد المنعم خفاجي، النقد العربي الحديث ومذاهبه، مكتبة الكليات الأزهرية، ص 126.

12- حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص72.

13-محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج2، دار الجبل بيروت، ط1992،1، ص6، وكذا ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص179.

14-ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج2، ص56،57 .

15-سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص195.

16-عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص16 .

17-حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص147.

18-سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص133 ، وكذا ينظر: محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص48-49-50-51 .

19- حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص147. نقلا عن محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث، ج1، ص124.

20-حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص 148نقلا عن محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث ،ج1، ص125 .

21-حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص 148،150.

22-حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص152، 154، 158، 160 وكذا ينظر: محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2006،2،ص75، 76، 77.

23-ينظر: حسين علي محمد وآخر ، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص167، 168، 171.

24-عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص6، 7 ، 9 .

25-قيس غوش، موسوعة الأديب العملاق ميخائيل نعيمة ، نوبليس الأشرفية بيروت لبنان،ط2003،2، ص179،180، 181.

26-قيس غوش، م ن، ص179 .

27-قيس غوش، م ن، ص ن

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر الحديث، دار المسيرة الجامعة الأردنية، ط1، 2003.
2. حسين علي محمد وآخر، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2000.
3. حمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، 2006.
4. سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث(الشعر)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2014.
5. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993.
6. عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، 2005.
7. قيس غوش، موسوعة الأديب العملاق ميخائيل نعيمة ، نوبليس الأشرفية بيروت لبنان،ط2، .2003.
8. محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، 2006.
9. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج2.
10. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج2، دار الجبل بيروت، ط1، 1992.
11. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكيّة، دار العودة، بيروت، ط 6، 1981.